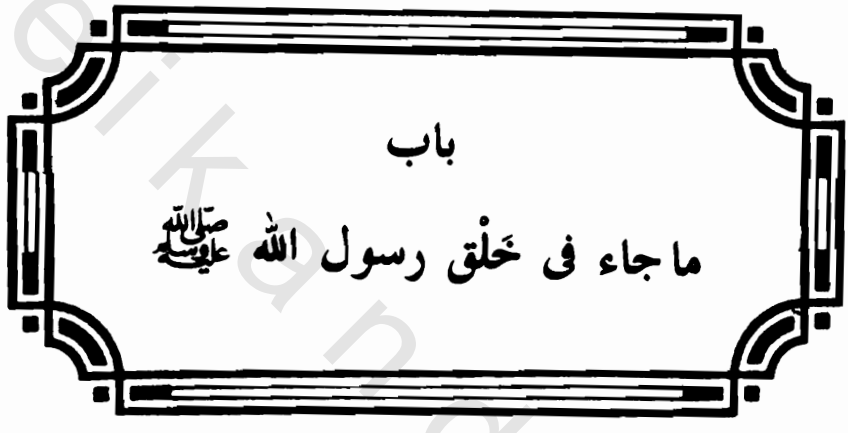

باب

ما جاء فی خَلْق رسول الله ﷺ

obeikandl.com

باب صفة النبى ﷺ

هل تدخل الأحاديث التى فيها صفة النبى ﷺ فى قسم المرفوع ؟

قال الحافظ[٥] أبو الفضل بن حجر :

الأحاديث التى فيها «صِفَة» النبى ﷺ داخلة فى قسم «المرفوع» بالاتفاق ، مع أنها ليست قولًا له ﷺ ، ولا فِعْلًا ، ولا تقريرا[٦] .

ما موضوع علم الحديث ؟

وإلى هذا أشار العلّامة شمس الدين الكرمانى حيث قال : اعلم أن علم الحديث مَوْضُوعُهُ هو : ذات الرسول ﷺ من حيث إنه رسول الله ﷺ .

وما حَدُّه ؟

وحَدُّه هو : علم يُعرف به أقوال الرسول ﷺ ، وأفعالُه وأحواله .

وما غايته ؟

وغايته : هو الفوز بسعادة الدارين .

وصف قَدِّه ﷺ :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :

---

(٥) من ألقاب المحدثين ، فلقد وضع علماء الحديث لكل من عمل فى الحديث لقبا بحسب نوع عمله ، ودرجة إتقانه ، وعلو رُتْبته ومن تلك الألقاب : الحافظ : وهو الذى أحاط بما لا يقل عن مائة ألف حديث مَتْناً وسندا .

(٦) يراد بالتقرير ما فعله أحد الصحابة أمام الرسول ﷺ ، فأقره ، ولم ينهه عنه .

كما يراد بالصفات : أقوال الصحابة فى وصف الرسول ﷺ ، ووصف الحالات التى يمر بها ، وتعد أقوال الصحابة هذه فى وصف الرسول ﷺ من الحديث المرفوع وهو : ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول ، أو فعل ، أو تقرير .

[١] «كانَ رسولُ اللهِ ﷺ لَيسَ بالطَّويلِ البائن ..» (بالمَوَحّدة)[٧] . قال فى فتح البارى[٨] :

(البائن) : اسم فاعل من (بان) أى : ظهر على غيره ، أو فارق مَنْ سِواه .

وقال فى النهاية : أى : المُفْرِط طولاً الذى بَعُد عن قَدِّ الرجال الطوال .

صفة لونه ﷺ

[٢] «ولا بالأبيضِ الأمْهَق» .

قال فى النهاية : هو الكريه البياض ، كلونِ الجِصِّ[٩] . يُرِيدُ أنه كان نَيِّرَ البياض .

[٣] « وَلا بالآدَمِ » : (الأسمرِ الشّديد) .

وهذا معنى ما فى الدلائل للبيهقى من حديث أنس[١٠] .

« كان رسول الله ﷺ أبيض بياضُهُ إلى السُّمْرَة » .

وفى مسند أحمد عن ابن عباس فى صفته ﷺ :

«رجل بين رجلين جسمه ولحمه أحمر» . وفى لفظ «أسمر إلى البياض»[١١]

---

(٧) فى أول العهد بالكتابة العربية لم يكن التمييز بين الحروف بالنقط ولا بالشكل فكانوا فى مثل كلمة «البائن» يقولون : «بالموحدة» أى بالباء ذات النقطة الواحدة ، ليفرقوا بينها وبين (الياء) ذات النقطتين .

(٨) بشرح صحيح البخارى للإمام ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية .
والمراد أنه ﷺ لم يكن فاحش الطول ، وهذا إذا كان وحده ، فإن ماشى الطوال طالهم ، وإن جالسهم كانت كتفه أعلى من جميعهم ، وهذا العلو الحى إشارة إلى العلو المعنوى .

(٩) الجِصّ من مواد البناء ، وجَصَّصَ البناء : طلاه بالجِصّ .

(١٠) المذكور فى الجزء الأول / ٢٠٤ . والمراد : أن بياضه ﷺ كان نَيِّراً مُشْرَباً بحمرة ، وهو معنى خبر مسلم عن أنس ، والمصنف عن هند «كان أزهرَ اللون» أى : أبيض . يعلوه إشراق ولمعان .
وأشرف الألوان : البياض المُشْرَبُ بحمرة ، أو بصُفْرةٍ ذهبية .

(١١) المسند : ٣١١/١ .

صفة شعره ﷺ

[٤] «وَلَا بالجَعْدِ الْقَطَطِ ، وَلَا بالسَّبِط»

(بفتح المهملة وكسر الموَحّدة)[١٢].

والجُعودَة فى الشَّعْر ، ألا يتكسر ، ولا يسترسل .

والسُّبوطةُ : ضِدُّه .

فكأنه أراد أنه وسط بينهما[١٣].

وقت بعثته ﷺ :

[٥] «بَعَثَهُ اللهُ على رأسِ الأَرْبَعين سنة»

قال فى فتح البارى :

هذا إنما يتم على القول : إنه بعث فى الشهر الذى وُلِدَ فيه .

والمشهور عند الجمهور : أنه وُلِد فى شهر ربيع الأول .

وأنه بُعِثَ فى شهر رمضان .

فعلى هذا يكون له حين بُعِث أربعون سنةً ، ونصف . أو تسع وثلاثون ونصف .

فمن قال « أربعين » ألغى الكسر أو جبر .

لكن قال المسعودى وابن عبد البر : إنه بعث فى شهر ربيع الأول .

فعلى هذا يكون له أربعون سنة سواء[١٤].

وقال بعضهم : بعث وله أربعون سنة وعشرة أيام .

وعند الجعافى : أربعون سنة . وعشرون يوما .

---

(١٢) ما بين القوسين ضبط لكلمة السَّبِط . بفتح السين وهى مهملة بلا نقط للفرق بينها وبين الشين ، وكسر الموَحّدة وهى الباء التى تحتها نقطة واحدة كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

(١٣) والمراد : أنه لم يكن شعره شديد الجعودة كشعر السودان ، ولا شديد السبوطة كشعر الروم ، بل كان فيه تثن وحُجُونة وهى كأنه مُشِط فتكسر قليلا .

(١٤) أى مستوية فى عدد أيامها .

obeikandl.com

ومن الشاذّ[١٥] ما رواه الحاكم عن سعيد بن المسيب قال :

«أُنزل على النبى ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وأربعين»[١٦]

وهو قول الواقدى ، وتبعه البلاذرى ، وابن أبى عاصم .

وفى تاريخ يعقوب بن سفيان وغيره عن مكحول :

أنه ﷺ بعث بعد اثنتين وأربعين ، وتوفاه الله على رأس ستين .

وسيأتى الكلام عليه فى آخر الكتاب[١٧].

حال شعر رأسه ولحيته ﷺ عند الوفاة :

[٦] **«وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء»**[١٨] أى بل دون ذلك ، وسيأتى .

---

(١٥) الشاذّ ــ عند علماء الحديث ــ مخالفة رواية الثقات مع عدم إمكان الجمع بينه وبين من خالفهُ .

(١٦) مستدرك الحاكم ٢/٦١٠ .

(١٧) قال فى جمع الوسائل : واعلن أن ابتداء التاريخ الإسلامى من هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة . وقد قدم بها يوم الاثنين ضُحًى لثنتى عشرة خلت من ربيع الأول .

(١٨) هذه الجملة خالية من مفعول توفاه . وهى تمام حديث أنس الذى رواه البخارى فى «كتاب اللباس» باب الجعد عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ **«ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ، وليس بالأبيض الأمْهَق ، وليس بالآدم ، وليس بالجعد القَطط ، ولا بالسّبط ، بعثه الله على رأس أربعين سنة ، فأقام بمكة عَشْر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، وتوفاه الله على رأس ستين سنة ، وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء»** ٤/٣٩ . كما رواه بلفظه فى كتاب بدء الخلق . باب صفة النبى ﷺ ٢/٢٧١ ــ ٢٧٢ ، ومسلم بنفس لفظ البخارى فى كتاب الفضائل . باب صفة النبى ومبعثه وسنه . حديث ٤٠١١٣/ ١٨٢٤ والترمذى فى المناقب . باب مبعث النبى . وابنُ كَمْ حين بعث ؟ وقال : حديث حسن صحيح ١٣/١٠٨ ــ ١١٠ . وفى المناقب بنحوه . باب ما جاء فى صفة النبى عن طريق على . ١٣/١١٦ ــ ١١٧ . والترمذى فى الشمائل . باب ما جاء فى خُلق الرسول ﷺ ١٣ ــ ١٥ . ومالك فى الموطّأ . باب صفة النبى . حديث ٩٤٧ . كما روى البيهقى بنحوه فى الدلائل . باب صفة لون رسول الله ١/٢٠١ ، ٢٠٣

وقوله : فأقام بمكة عشر سنين . أى رسولا ، وثلاث عشرة أى نبيا ورسولا ؛ لأن العلماء متفقون على أنه ﷺ أقام بمكة بعد النبوة وقبل الهجرة ثلاث عشرة سنة وسيأتى فى باب سنه عليه السلام فلزم التنويه بما ذكرناه . ويحتمل أن الراوى اقتصر على العقد وترك الكسر .

صفة جسمه ﷺ :

عن أنس بن مالك قال :

[٧] **« كان رسول الله ﷺ رَبْعَة »** .

(بفتح الراء وسكون الموحدة) . أى مَرْبُوعاً .

والتأنيثُ باعتبار النفس .

يقال : رجل رَبْعَة ، وامرأة رَبْعة .

وقد فسره فى الحديث بقوله :

« ليس بالطّويلِ ولَا بِالْقَصِيرِ » .

فى الزهريات للذهلى : من حديث أبى هريرة بسند حسن :

[٨] **« كان رَبْعةً ، وهو إلى الطُّول أقرب »** .

وفى تاريخ ابن أبى خيثمة من حديث عائشة :

« لم يكن أحدٌ يُماشيه من الناس يُنْسَبُ إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ ، وربما اكتَنَفَه(١٩) **الرَّجُلانِ الطويلان فيطولهما ، فإذا فارقاه نُسِبَا إلى الطول ، ونسب رسول الله ﷺ الله إلى « الرَّبْعَة » .**

[٩] **« أسمرَ اللون »** .

قال الحافظ أبو الفضل العراقى : هذه اللفظة انفرد بها حميد عن أنس(٢٠) .

ورواه غيره من الرواة عنه بلفظ :

[١٠] **« أزْهَرُ اللون »**(٢١) .

---

(١٩) اكتنفه : أى أحاط به ﷺ .

(٢٠) رواه الترمذى فى اللباس . باب ما جاء فى الجُمّة واتخاذ الشَّعر وقال : حديث أنس حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث حميد ٢٥٥/٧ ــ ٢٥٦ .

(٢١) البخارى فى كتاب بدء الخلق . باب صفة النبى ٢٧١/٢ . وأحمد فى المسند بلفظ « أزهر » ٢٤٠/٣ . والبيهقى فى دلائل النبوة باب صفة لون رسول الله ﷺ بلفظ « أزهر » ٢٠٣/١ .

obeikandl.com

ثم نظرنا من روى صفة لونه ﷺ غير أنس : فكلهم وصفوه : **بالبياض دون السُّمْرة** . وهم خمسة عشر صحابيا .

وقال البيهقى : يقال : إن المُشْرَبَ : منه بحمرة وإلى السمرة ما ضَحَى منه للشمس والريح[٢٢] .

وأما ما تحت الثياب فهو **الأبيض الأزهر**[٢٣] .

صِفةُ مِشيته ﷺ

[١١] **«إذا مشَى يَتَكَفَّا»**

قال العراق : (بكاف وفاء بغير همز مخففا)[٢٤] وروى بهمز ، وغير مهموز .

وفسره بعضهم بالمَيَلان فى المشى . وأنكره بعضهم ؛ لأنه كان فى صفاء الفضة .

قال بعضهم : فيه إيماء إلى بياض عنقه البارز للشمس فغيره .

لا أنه مشى المتكبرين .. وإنما المراد سرعة المشى ، فكأنه يميل بين يديه من سرعة مشيه ، كما فى الحديث الآخر :

[١٢] **«كأنما ينحطّ من صَبَبٍ»** .

أى من مكان عالٍ ، فيكون من قولهم : «أكفيت الإناء» . أى : أَمَلْته .

---

(٢٢) أى كالوجه والعنق .

(٢٣) ما ذكره البيهقى : ويقال : إن المشرب منه حمرة ، وما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر ٢٠٦/١ . فلزم التنويه . وعلى ثبوت رواية «أسمر اللون» فالمراد بالسمرة : الحمرة التى تخالط البياض لا الأدمة التى هى شدة السمرة . والعرب تطلق على من كان كذلك «أسمر» ، ويؤيده رواية البيهقى عن أنس «كان أبيض بَيَاضُه إلى السمرة» قال ابن حجر : فلا منافاة بين هذه الرواية والتى قبلها .

(٢٤) يضبط ــ كما عودنا ــ كلمة يتكفا . فهى بالكاف بعد التاء ، وبعد الكاف فاء . وبعد الفاء ألف غير مهموزة مخففة . تخفف عند النطق بها . ويترك همزها . وقد رواه الترمذى فى الشمائل فى باب ما جاء فى خلق رسول الله ﷺ (ص : ١٦) .

[١٣] «بعيدَ ما بين المنكبين»[٢٥].

أى : عريضَ أعلى الظهر .

وعند ابن سعد من حديث أبى هريرة :

[١٤] «رَحْب الصَّدْرِ مِن ذى لِمَّة»

(بكسر اللام وتشديد الميم) . وستأتى .

[١٥] «ضخمَ الكرادِيسِ» .

هى : رءوس العظام . واحِدُها : كُرْدُوس

وقيل : هو مُلْتَقَى كل عَظْمَيْن : كالركبتين ، والمرفقين ، والمنكبين .

أراد أنه ضخم الأعظام .

[١٦] «لم يكنْ بالطَّويلِ المُمَّغِطِ»

قال فى النهاية : (هو بتشديد الميم الثانية ، والعين مهملة ومعجمة[٢٦] : المتناهى الطول .

و «امّعَط النهارُ» : إذا امتد .

ومَعَطْتُ الحبل وغيره : إذا أمددته .

وأصله : «ممتعط» . والنون للمطاوعة فقلبت ميما ، وأدغمت فى الميم .

[١٧] «ولا بالقصيرِ المُتَرَدِّد»

قال فى النهاية : أى ــ المتناهى فى القصر كأنه تردّد بعضُ خَلْقه على بعض ، وتداخلت أجزاؤه .

[١٨] «ولَمْ يَكُنْ بِالمطَهَّم»

---

(٢٥) المنكب مجمع عظم العضد والكتف . قال العسقلانى : وهو مستلزم لعرض الصدر .

(٢٦) يمكن أن تكون بالعين أو بالغين «مُمَتِعط» أو «مُمَّغِط» . من امتغط النهار أى امتد .

قال فى النهاية : هو المنتفخ الوجه[٢٧].

وقيل : الفاحش السِّمَن .

وقيل : النحيف الجسم[٢٨].

وهو من الأضداد[٢٩].

[١٩] «ولا بالمكَلْثم[٣٠]»

المكلثم هو من الوجوه : القصير الحنك ، الرابى الجبهة ، المستدير مع خفة اللحم .

أراد أنه كان أَسِيلَ الوجه ، ولم يكن مستديرا

[٢٠] «وكان فى وجهه تدوير»[٣١]

قال أبو عبيد : يريد أنه لم يكن فى غاية التدوير ، بل كان فيه سهولة ، وهى أحلى عند العرب .

[٢١] «وأصدقُ الناسِ لَهجة» .

قال فى النهاية : اللهجة اللسان .

---

(٢٧) الذى فيه جهامة أى عبوس من السِّمَن .

(٢٨) كما جاء فى خبر هند «سهل الخدين» أى غير مرتفع الوجنتين .

(٢٩) أى يستعمل فى الشىء وضده وفى اللغة كثير مما يدل على الشىء وضده .

(٣٠) المكلثم هو : كثير لحم الخدين المدور الوجه ، ولما لم يكن هذا على إطلاقه بينه بقوله : «وكان فى وجهه تدوير» .

(٣١) أى تدوير مَّا ، فلم يكن مستديرا كل الاستدارة بل كان فيه بعض ذلك ، ويعبر عنه بأنه كان فيه سُهولة ، والسُّهولة ضد الحُزُونة ، وهى فى الأصل ما غلظ من الأرض . والحاصل : أنه كان بين الاستدارة والأسالة كذا قال البيضاوى وأبو عبيد . وفى هذا الوصف إثبات لصفة الكمال بعد نفى صفتى النقص تكميلا للمدح . وعدم الاكتفاء باستلزام النفى للإثبات فى مقام المدح من فنون البلاغة .

[٢٢] «ألْيَنُهم عَرِيكَةً»

قال فى النهاية : العَرِيكَة : الطَّبيعة .

ويقال : «فلان ليِّن العريكة» . إذا كان سلساً ، مُطاوعا ، منقادًا .

[٢٣] «قليل الخلاف والنُّفُورِ»

عن الحسن بن على رضى الله عنه قال :

سألت خالى هند بن أبى هالة .

هو ربيب النبى ﷺ .

أمه خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها ، قتل مع علي يوم الجمل ، واسم أبيه «أبى هالة» زوج خديجة قبل النبى «النباش بن زرارة ، وقيل : هند بن زرارة ابن النباش كاسم ابنه .

ذكر المرزبانى فى معجم الشعر أنه رثى كفار بدر ، ولم يذكر له إسلام ! ـــ **وكان وصَّافًا** عن جلية الرسول ﷺ فقال :

[٢٤] «كان فَخْمًا مُفَخَّمًا»(٣٢).

الفخم : (بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة) العظيم .

والمفخَّم : (بضم الميم وفتح الفاء والخاء المعجمة المشددة) المعظم .

[٢٥] «أطول من المرْبُوع وأقصرُ من المشَذَّب»(٣٣)

من المشذّب : (بضم الميم وفتح الشين والذال المعجمتين والموحدة) .

---

(٣٢) أى هو عظيم فى نفسه معظم فى القلوب والعيون عند كل من رآه . ولم يرد بالفخامة ضخامة الجسم وإن كان ضخما فى الجملة ؛ لأنه لم يكن نحيفا .

(٣٣) هو الطويل البائن من التَّشْذيب ، وأصله : النخلة الطويلة التى شُذِّب جريدها أى قُطع لتطول .

[٢٦] «رَجْل الشعر[٣٤] إن انفرقت[٣٥] عَقِيقَتُه فرَق وإلا فلا».

قال القاضى عياض :

العقيقة : شعر الرأس . أراد إذا انفرقت من ذات نفسها فرقها ، وإلا تركها مقصوصة .

وقال فى النهاية : عقيقته . أى شعره ، سُمِّىَ عقيقة تشبيها له بشعر المولود .

قال : وجاء فى رواية : «إن انفرقت عقيصته» .

والعقيصة : الشعر المعقوص ، وهو نَحْوٌ من المضفور ، وأصل العقص : الَّلىّ ، وإدخال أطرافه فى أصوله .

والمشهور «عقيقته» ؛ لأنه لم يكن يقصص شعره .

والمعنى : إن انفرقت من ذات نفسها ، وإلا تركها على حالها . ولم يفرقها إذا هو وفره أى جعله وفرة[٣٦].

[٢٧] «أزهرَ اللون» .

قال القاضي عياض : أى نيِّره .

وقيل : أزهر : حسن .

---

(٣٤) أى شعر رأسه ، وفى رواية «عَقِيصتُه» بالصاد المهملة بدل القاف الثانية وهى الخَصلة إذا لُويت وضفرت ، فالمراد : شعره المقصوص .

(٣٥) والمعنى أنها إن انفرقت وانشقت بنفسها عن المفرق فرقها ، أى أبقاها على انفراقها . وإلا تنفرق بنفسها فلا يفرقها بل يتركها مرسلة أو مقصوصة .

(٣٦) ولقد جاء فى الشمائل : «يجاوز شعرُه شحمة أذنيه إذا هو وفره» أى تركه موفرا فلم يأخذ منه .

وقيل يصح أن يكون يجاوز مدخول النفى . أى إن انفرق شعره بعدما عقصه فرق . أى ترك كل شىء فى منبته ، وإلا ينفرق بأن استمر معقوصا كان موضعه الذى يجمع فيه حذاء أذنيه ، فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره . أى جمعه .

وهذا كما قال فى الحديث الآخر :

أبيض مُشْرَب : أى فيه حمرة[٣٧].

[٢٨] «أَزَجّ الحواجب»[٣٨].

الحاجب الأزج : المقوس الطويل الوافر الشعر .

[٢٩] «سَوَابِغ[٣٩] فى غير قرن» .

القَرَن : هو اتصال شعر الحاجبين، وضده «البَلَج» ووقع فى حديث أم معبد وصفه بالقرن .

وقال فى النهاية :

القَرَن : (بالتحريك) أى التقاء الحاجبين، وهذا خلاف ما روت أم معبد حيث قالت فى صفته :

[٣٠] «أَزَجُّ أَقْرَن»

أى مقرون الحاجبين . والأول هو الصحيح فى صفته و «سوابغ» حال من «المجرور» وهو الحاجب .

أى أنها دقت فى حال سبوغها .

ووضع الحواجب موضع الحاجبين ؛ لأن التثنية جمع .

---

(٣٧) الشُّرْبة : الحمرة فى الوجه . ويقال : أشرب الرجل اللون غيره خلطه به . يقال أشرب البياضَ حمرة ، والإشراب خلط لون بلون كأن أحد اللونين سقى الآخر .

(٣٨) وأطلق الجمع وهو الحواجب على المثنى «الحاجبين» لأن المثنى جمع فى المعنى .

(٣٩) سوابغ : أى : كوامل . حال من الحواجب ؛ لأنه فى المعنى فاعل . أى دقت وتقوست حال كونها سوابغ .

والاظهر أنه منصوب على المدح . قاله فى جمع الوسائل . وإنما قال سوابغ مع أنه من أوصاف الأزج ؛ ليرتب عليه قوله : «فى غير قَرَن» .

والمراد أن عليه الصلاة والسلام لم يكن أقرن . أى متصل الحاجبين وإن كان أبلج ما بينها . أى نقية من الشعر . =

وصفه أنفه ﷺ

[٣١] «أقْنى العِرنين»[٤٠]

هو السائل الأنف المرتفع وسطُه يحسبه من لم يتأمله أشم[٤١] . وهو الطويل قصبة الأنف .

وصف فمه ﷺ

[٣٢] «ضَليعُ الفم»

قال فى النهاية : أى عَظِيمُهُ .

وقيل : وَاسِعُه .

والعرب تحمد عِظَم الفم ، وتذم صغره[٤٢] .

وعُورِضَ هذا بما فى حديث أم معبد : «أزج أقرن» .

وجمع بينهما بأنه بحسب ما كان يبدو للناظر من بعد ، أو بغير تأمل . وأما القريب المتأمل ، فيبصر بين حاجبيه فاصلا دقيقا ، فهو أبلج فى الواقع ، أقرن بحسب ما يبدو للناظر إذا كان بعيدا أو من غير تأمل .

قال الأنطاكى وغيره : والعرب تستملح «البلج» . والعجم «القرن» . ونظر العرب أدق ، وطبعهم أرق .

قال فى جمع الوسائل : فكأنه جمع بين لطافة العرب ، وظرافة العجم ﷺ .

(٤٠) وفى رواية : «أقنى الأنف» وهما بمعنى واحد . والقَنى : طول الأنف ودقة أرنبته وحدب فى وسطه ؛ فليس بأفطس ولا بأشم . .

(٤١) الشمم : ارتفاع قصبة الأنف فى استواء .

(٤٢) والضليع فى الأصل الذى عظمت أضلاعه فاتسع جنباه ثم استعمل فى موضع العظيم وإن لم يكن ثمّ أضلاع ، وفيه إيماء إلى الفصاحة والبلاغة .

وقيل : «ضليع الفم» كناية عن كمال الفصاحة ، وتمام البلاغة . وقيل : معنى «ضليع الفم» : عظيم الأسنان شديدها .

وصف أسنانه ﷺ

[٣٣] «مُفَلَّجُ الأَسْنَانِ»

الفَلَج : فرق فى الثنايا[٤٣] .

عنقه ﷺ

[٣٤] «كأن عُنُقَه جيدُ دُميةٍ»

الجِيدُ (بكسر الجيم وتحتية ودال مهملة) : العنق .

والدُّمْيَةُ (بضم الدال المهملة ، وسكون الميم ، وتحتية) : الصورة من العاج[٤٤] .

[٣٥] «مُعْتدِل الخَلْق بَادِنٌ ذُو لَحْم مُتَماسِك»

يمسك بعضه بعضا مثل قوله فى الحديث الآخر :

[٣٦] «لَمْ يكُنْ بالمُطَهَّم وَلَا بالْمُكَلْثَم»

أى : ليس بمسترخى اللحم[٤٥]

---

(٤٣) أى منفرجها ، وهو خلاف متراص الأسنان ، ويروى «أفلج الأسنان» وفى رواية لابن سعد «مبلج الثنايا» والمراد الثنيتان العليان دون السفليين لأن المدح خاص بفلج العليين

(٤٤) واستعمل هنا فى مطلق الصورة التى بولغ فى تحسينها فشبه عنقه ﷺ بجيد الدمية فى الاستواء ، والطول ، والاعتدال ، وظرف الشكل ، وحسن الهيئة والكمال .

(٤٥) وقوله معتدل الخَلْق : يحتمل أن يكون إشارة إلى أن عنقه الشريف لم يكن مفرط الطول . أو إلى أنه معتدل الخلق أى جميع الأعضاء فيكون إجمالا بعد تفصيل بالنسبة لما سبق .

بطنه وصدره ﷺ

[٣٧] «سَوِىّ الْبَطْنِ والصَّدْرِ»

أى مستويهما[٤٦] .

[٣٨] «رَحْب الرّاحَة»

أى واسعها[٤٧] .

وقيل : كنّى به عن سَعَة العطاء والجود .

[٣٩] «شَثْنُ الكَفَّيْنِ والقَدَمين»

(بفتح الشين المعجمة وسكون المثناة الفوقية) .

قال فى النهاية : أى يميلان إلى الغلظ والقصر .

وقيل : هو الذى فى أنامله غلظ بلا قصر .

ويُحْمَد ذلك فى الرجال .

= و (بادن) اسم فاعل من بَدُن بمعنى ضخم ، وقوله (متماسك) إشارة إلى أن عظم أعضائه لم يخرجها عن حد الاعتدال .

وإن كان المراد بالبادن السمين كان معنى قوله : متماسك أنه ليس بمسترخى اللحم ؛ لأن استرخاءه مذموم عند العرب مكروه فى المنظر . أى فهو معتدل الخلق بين السمن والنحافة .

(٤٦) والمعنى أن صدره وبطنه متساويان : بطنه لضموره لا يزيد على صدره ، وصدره لكونه عريضا مساو لبطنه .

(٤٧) حِسًّا ومعنى .

ولحسان بن ثابت رضى الله عنه :

له راحةٌ لو أنّ مِعشارَ جودها ... عَلَى البَرِّ كان البرُّ أندى من البحر

لَهُ هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا ... وهِمَّتُهُ الصُّغرى أجَلُّ مِنَ الدَّهر

والراحة : باطن الكف .

[٤٠] «سائل الأطرافِ»

باللام . أو قال : «سائن الأطراف» بالنون .

قال ابن الأنبارى : وهما بمعنًى . تبدل اللام من النون .

أى طويل الأصابع[٤٨] .

[٤١] «خُمْصَانُ الأَخْمصَين»[٤٩]

(بضم الخاء المعجمة) أى متجافى أخمص القدم : وهو الموضع الذى لا تناله الأرض من وسط القدم .

«مَسِيحُ القدمين»

أى : أملسهما ، ليس له أخمص ، ولهذا قال : «ينبو عنهما الماء» .

[٤٢] «إذَا زَالَ زَالَ قُلَعاً»

قال فى النهاية : يروى بالفتح وبالضم ، فبالفتح : المصدر بمعنى الفاعل . أى يزول قالعاً لرجله من الأرض .

وبالضم : إما مصدر أو اسم ، وهو بمعنى الفتح .

---

(٤٨) أى ممتدها . ليست بمتعقدة ، ولا متقعصة . أما سائن فهى لغة مثل : جبريل وجبرين .

(٤٩) الأَخْمَصين : بفتح الهمزة والميم : باطن القدم الذى يتجافى عن الأرض . ويقال (خَمُصَ) بالضم والفتح والكسر ورجل خُمصان بالضم ، وامرأة خُمصانة ، إذا كانا ضامرى البطن ، فمعنى خمصان الأخمصين : ضامر باطن القدمين بمعنى أن وسط قدمه مرتفع عن الأرض .

ونقل فى النهاية عن ابن الأعرابى أنه عليه السلام كان معتدل خمص الأخمص ؛ فلم يكن مرتفعا جدا ، ولا مستويا جدا ؛ لأنه إذا كان هكذا فهو أحسن ما يكون ، وإذا استوى أو ارتفع جدا ، فهو ذم . اهـ ، وبه يظهر وجه الجمع بين الرواية التى ذكرها المصنف ، وبين ما نقله القاضى عياض فى الشفاء عن أبى هريرة رضى الله عنه من أنه عليه الصلاة والسلام «كان إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص» اهـ وبيان الجمع أن من أثبت الخمص أراد أن فى قدميه خمصا يسيرا .

ومن نفاه نفى شدته . وأما قول عياض إن قوله : «مسيح القدمين» يوافق ما قاله أبو هريرة . ففيه : أن الراوى ذكر قوله مسيح القدمين عقب قوله : خمصان الأخمصين . فلو أريد به أنه لم يكن خمص لكان بينهما تدافع . وإنما معنى قوله : «مسيح القدمين» أنه أملس القدمين ، ليس فيهما تكسر ولا تشقق ، ويؤيد ذلك قوله : (ينبو) أى يمر سريعا ويتباعد ويتجافى (عنهما الماء) .

وقال الهروى :

قرأت هذا الحرف فى كتاب غريب الحديث لابن الأنبارى : «قَلِعاً» . (بفتح القاف وكسر اللام» .

وكذلك قرأته بخط الأزهرى وهو كما جاء :

«يخطو تكَفِّيًا» . وهو الميل إلى سَنَن الممشى وقصده(٥٠)

[٤٣] «ويمشى هَوْنًا» .

(بفتح الهاء) . وهو الرفق والوقار .

[٤٤] «ذريع المِشْيَة» .

أى واسع الخطو . أى أن مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ، ويمد خطوه ، خلاف مشية المختال . ويقصد سَمْتَه ، وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة ، كما قال : «كأنّما يَنْحطُّ من صَبَب» . أى موضع منحدر .

[٤٥] «وإذا الْتَفَت الْتَفَت جميعا»

قال فى النهاية : أراد أنه لا يسارق النظر .

وقيل : أراد لا يلوى عنقه يَمنَةً ويَسْرَةً إذا نظر إلى الشىء ، وإنما يفعل ذلك الطائش الخفيف ، ولكن كان يُقبل جميعا ، ويدُبر جميعا .

[٤٦] «جُلّ نظره المُلاحَظَة»

= وقال ابن الجزرى : «مسيح القدمين» الذى ليس بكثير اللحم فيهما .

(٥٠) السَّنَن : الطريقة والمثال ومن الطريق وهو المَمْشى : نَهْجُه وجهته .

وفى خبر هند : «إذا زال زال قُلَعًا يخطو تكفؤا ، ويمشى هوناً ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحطّ من صَبَب» . والتقلّع : رفع الرجل من الأرض بهمة وقوة لا مع اختيال وتقارب خُطاً وتكسر وتثنٍّ وجر رجل فى الأرض ؛ لأن تلك مشية النساء ، والمتشبهين بهن ، والهون : الرفق ، فالمعنى أنه ﷺ كان يرفع رجليه عن الأرض بقوة ، ولا يجرهما بالأرض ؛ وكان يضعهما عليها برفق وسكينة ووقار وحلم وأناة ، ولا يضرب برجله الأرض .

ومعنى «ذَريع المشية» : واسع الخطوات ، لا متقاربها كخطوات المختالين . فالمقصود : أن مشيه على وجه التواضع لا على طريق التكبر والخيلاء . قال تعالى : ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾ وقال : ﴿واقصِد فى مشيك﴾ أى توسط بين الإسراع والتمادت .

أى المفاعلة من اللحظ ، وهو النظر بشِقّ العين الذى يلى الصدغ[٥١] .

[٤٧] «يَسُوق أصحابَه»

أى يُقدِّمُهم أمامَه ، ويمشى خلفهم تواضعا ، ولا يدع أحدا يمشى خلفه* .

[٤٨] «أشكلَ العين»

قال فى النهاية : أى فى بياضها شىء من حمرة ، وهو محمود محبوب .

[٤٩] «مَنْهُوسَ العقبين»[٥٢]

قال فى النهاية : يروى بالسين ، وبالشين أيضا .

[٥٠] «فى ليلةٍ إضْحِيانٍ أحسن من القمر»

بكسر الهمزة : أى مضيئة مقمرة ، والألف والنون زائدتان* * .

[٥١] وسأل رجل البَرّاء بن عازب :

وقوله : «كأنما ينحط من صَبَب» كناية عن سرعة مشيه . أى كأنما ينزل فى موضع منحدر ، وأسرع ما يكون الماء جاريا إذا كان الموضع منحدراً (فمن بمعنى : فى كما فى نسخه . والصبب : الحدر . ويفهم من هذا سرعة مشيته ﷺ .

(٥١) وجُلّ معناها مُعظَم .

* إشارة إلى أنه كالمربى فينظر فى أحوالهم ، وفى هيئتهم كمن يقدم دابته ليتفقد أحوالها . أو رعاية للضعفاء وإغاثة للفقراء . أو تشريعا وتعليما .

(٥٢) قيل لسماك بن حرب راوى الحديث عن جابر فيما رواه مسلم : ما منهوس العقبين ؟ قال : قليل لحم العقب .

والعقب : عظم مؤخر القدم . وهو أكبر عظامها .

وقد فسر سماك أيضا «أشكل العينين» بقوله : طويل شق العين .

ويرى أبو عبيدة وغيره من علماء اللغة أن الأشكل ما فيه بياض يضرب إلى الحمرة ؛ فلذلك خطأ القاضى عياض تفسير سماك .

* * من حديث هناد بن السرى عن عبثر عن أبى إسحق عن جابر بن سمرة قال : رأيت رسول الله ﷺ فى ليلةٍ بالتنوين . إضحيانٍ بالتنوين أيضا وهو صفة ليلة أى مقمرة ، وإنما صرف مع زيادة الألف والنون ؛ لأنه ليس على وزن فعلان . وإنما جرد من التاء مع أنه جارٍ على مؤنث لتأويل الليلة بالليل ، أو لأنه من الأوصاف الخاصة بالمؤنث كطالق ، وحائض .

«أكان وجهُ الرسولِ ﷺ مثلَ السيف ؟ قال : لا ، بل مثل القمر»(٥٣) .

قال فى فتح البارى : كأن السائلَ أراد أنه مثل السيف فى الطول .

فرد عليه البراء بقوله : بل مثل القمر . أى فى التدوير .

ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف فى اللَّمعانِ والصِّقالِ . فقال : بل فوق ذلك ، وعدل للقمر لجمعه الصفتين : من التدوير اللمعان .

[٥٢] وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال :

عُرِض علىّ الأنبياء فإذا موسى عليه السلام ضَرْبٌ من الرجال ، كأنه من رجال شَنوءَة(٥٤) .

ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبها عروة بن مسعود(٥٥) ، ورأيت إبراهيم عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم ، (يعنى نفسه) .

ضربٌ من الرجال : هو الخفيف اللحم ، الممشوق والمستدق .

كأنه من رجال شَنوءة : بفتحِ الشين المعجمة وضم النون ومد وهمز .

= وفى الفائق : أنه يقال : ليلة أضحيان ، وليلة إضحيانة وهى المقمرة من أولها إلى آخرها ، ولاشك أن نور القمر فى هذه الليلة أعم وحسنه أتم .

ولفظ الحديث «رأيت الرسول ﷺ فى ليلة إضحيان وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر فلهو عندى أحسن من القمر» .

(٥٣) أخرجه البخارى فى صفة النبى ﷺ والمؤلف فى المناقب برقم ٣٦٤٠ .

(٥٤) أخرجه مسلم فى الإيمان باب الإسراء رقم ١٦٧ والمؤلف فى المناقب برقم ٣٦٥١ . وشنوءة بفتح الشين قبيلة باليمن ورجال هذه القبيلة متوسطون بين الخفة والسِّمن ، و (الشنوءة) فى الأصل التباعد .

(٥٥) عروة بن مسعود الثقفى : هو الذى أرسلته قريش للنبى ﷺ يوم الحديبية وقد أسلم سنة تسع من الهجرة ، وهو أحد الرجلين اللذين قالت قريش فيهما ﴿**لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**﴾ ٣١ الزخرف . والحديث رواه أحمد وأخرجه مسلم فى الإيمان والمؤلف فى المناقب .

[٥٣] « كان أبيضَ مَليحاً مُقصَّدًا »

مُقَصَّدًا : هو الذى ليس بطويل ، ولا قصير ، ولا جسيم كأنّ خلقه نحى به القصد من الأمور .

والمعتدل الذى لا يميل إلى إحدى طرفى التفريط والإفراط .

obeikandl.com

obeikandl.com